المقاربة السكوسوماتية التكاملية (الجزء الاول)

تمهيد :

تعد المقاربة السيكوسوماتية التكاملية نموذجا حديثا في تفسير الاضطراب السيكوسوماتي , تعتمد اساسا على دراسة الوحدة النفسو جسمية للفرد الناتجة عن تكامل بين التكامل العصبي و سيرورة النضج النفسوعاطفي .

صاحب النظرية جون بينجامان ستورا (Jean Benjamin Stora), محلل نفسي و اخصائي سيكوسوماتي ,أنشأ المدرسة السيكوسوماتية de la Pitié-Salpêtrière و معهد السيكوسوماتية التكاملية , اسس "الشهادة الجامعية للسيكوسوماتية التكاملية و التحليل النفسي والطب و علم الاعصاب" في كلية الطب de la Pitié-Salpêtrière .

قام بعدة دراسات حول الاجهاد المهني وانعكاساته على الصحة , وكذا دراسات حول بعض الامراض السيكوسوماتية.

1- تعريف المقاربة السكوسوماتية التكاملية :

حسب ستورا (Jean Benjamin Stora) تعتبر المقاربة السيكوسوماتية التكاملية :"مقاربة كلية للإنسان و امراضه , ترتكز على نماذج نظرية واكلينيكية للتأثيرات المتبادلة بين الجهاز النفسي والجهاز العصبي المركزي (SNC) , والجهاز العصبي المستقل السمباتي و الباراسمباتي (SNA) , وجهاز المناعة , و الوراثة بوضع هذه الاجهزة الخمسة داخل وسط ثقافي اجتماعي (الاسرة و المحيط الاجتماعي المهني) ."

ان فحص الوحدة النفسوجسمية وفقا لوجهة نظر ستورا يربط عدة مستويات عند الفرد : الاعضاء و الوظائف الجسمية بنشاط الجهاز العصبي على ضوء تخصصات عدة هي التحليل النفسي و الطب و علم الاعصاب , " فهذه المقاربة تضع دينامية الاجهاد و المتغيرات النوعية الخاصة بالجهاز النفسي و المتغيرات الكمية المتعلقة بالجسد كقاعدة اساسية تفسر على اساسها الاضطرابات السيكوسوماتية.

2- أساسيات المقاربة السيكوسوماتية التكاملية :

- "الانسان وحدة نفسية و جسمية " ناتجة عن التكامل بين سيرورة التكامل العصبي و سيرورة النضج النفسو جنسي .
- يقيم النشاط النفسي في اطار الوحدة النفسو جسمية للفرد.
- يساهم الجهاز النفسي بدرجات متفاوتة في اسباب ظهور الامراض الجسمية .
- الجهاز النفسي الدفاع الاول للوحدة النفسو جسمية لذا يكون لاضطراباته انعكاسات او نتائج على الاضطرابات او الامراض الجسمية دون ان يكون هو السبب الوحيد .
- يؤخذ بعين الاعتبار البعد الاسري و الاجتماعي و الثقافي و الاقتصادي في اطار التكفل بذوي الامراض الجسمية .
- النظرية التكاملية متعددة الاسباب و العوامل حيث يفسر المرض الجسمي بالرجوع الى :

1 -عوامل تؤدي الى خلل في الاستقرار المتجانس(l'homéostasie) للفرد مثل الصدمات النفسية

2 -تنظيمة خاصة للجهاز النفسي .

3 -تأثيرات متبادلة نتيجة ما سبق بين الجهاز العصبي المركزي والجهاز العصبي المستقل و جهاز المناعة و الوراثة .

3- النموذج العام للعلاقات الدينامية بين الاجهزة 5 لشرح سيرورة الجسدنة :

3-1- نموذج الطلب المزدوج :le modéle de la double commande

يسمى كذلك **النموذج ثنائي التحكم** :عندما يختل نشاط الجهاز النفسي (بسبب صدمة نفسية او سلسلة من الصدمات النفسية) يتولى الجهاز العصبي المركزي الامر ويحل محل الجهاز النفسي مباشرة , هذا الخلل قد يكون مؤقتا او مستمرا .

يرى ستورا ان الجهاز النفسي لديه فترة كمون تتراوح في المتوسط بين 24-48 ساعة للبدأ في تنظيم مُرضي (البدأ في عملية ارصان)

3-2-الاجهزة العصبية التحتية للاستجابة العصبية :

توجد اربعة اجهزة عصبية تحتية للتحكم العصبي في الانفعالات :

-**الجهاز الاستكشافي** système exploratoire: هو نظام يزودنا بالطاقة ويسمح باستثمار العالم الخارجي , يستثار بنزوات حفظ الذات و النزوات الجنسية , الناقل العصبي الغالب في هذا الجهاز هو الدوبامين .

- **جهاز رد الفعل اتجاه الغيظ و الغضب** systéme de réaction de rage et de colére :

ينشط في حالات الاحباط و يعرف ببرامج الاستجابة الحركية عند ادراك العدوان (استجابة المواجهة).

- **جهاز رد الفعل اتجاه الخوف** système de réastion de peur:

يولد الخوف الحصر الذي يؤدي الى استجابة الهروب .

- **جهاز الانفصال – الضيق او جهاز الهلع** systéme de séparation –detresse ou systéme panique:

مرتبط بالقلق الناتج عن الهلع و كذا مشاعر الحزن و الفقد المصحوبة بمشاعر اكتئابية .